"المدارس (الحواضر) النحوية والمذاهب الفقهية" – دراسة تاريخية-

"**The Grammar Schools And Doctrines Of Jurisprudence**"**-Historic Study** -

1بغاديد البشير *

جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (الجزائر)،beghadidbachir31@gmail.com

2أ.د: عبد الجليل مرتاض

جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (الجزائر)، mortadabdeljalil@yahoo.fr

تاريخ الارسال 2022/11/04 تاريخ القبول 2023/03/01 تاريخ النشر 2023/09/30

ملخص: : قامت الحضارة الاسلامية على أساسين متينين هما النحو والفقه، اللذان لعبا دورا بالغا في توجيه الانسان المسلم إلى الريادية وحفظ مقوماته من الانحلال والتّلاشي أمام الضربات المتكرّرة لزمن مجيد من التاريخ. في هذه الدراسة المختصرة نشير إلى علم النحو تعريفًا ونشأة وأهمّ المدارس التي أنشأت ووجّهت الدرس النحوي؛ الذي يُعتبر أساس العلوم اللغوية الأخرى. وتناولت كذا الفقه تعريفًا ونشأة باعتباره السبب الأساسي في نشأة النحو. وفي الخاتمة تناولنا موضوع الحضارة تعريفًا ليُطرح التسؤال عن علاقة الحضارة بعلمي النحو والفقه، وبذلك نفتح مجالًا لدراسات أخرى.

الكلمات المفتاحية: الفقه، النحو ، التاريخ، الدراسة، المسلم.

Abstract: **I**slamic Civilization was built on two solid foundations; Grammar and Jurisprudence, which played a major role in directing the Muslim person to Leadership and preserving his elements from disintegration and fading in the face of the repeated strikes of glorious times in history. In this brief study ; we refer to defination and origin of grammar and jurisprudence, and the most important schools that established and directed the grammar lesson; which is considered the basis of the other linguistic sciences. And jurisprudence as the main reason for the emergence of grammar. In the conclusion, we deait with subject of CIVILIZATION as a definition to raise the question about the role of grammar and jurisprudence in the advancement of civilization, and thus open the way for other studies.

Keywords: Jurisprudence, Grammar, history, study, Muslim.

1. المقدمة:

إنَّ الحمد لله ربِّ العالمين وصلاته وسلامه على جميع الأنبياء والمرسلين وصحابتهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

– إنّ قضية اللغة سِمةٌ من سمات الترابط بين العلوم الإسلامية ومن هذا المنطلق جاء اختيار الموضوع الموسوم بـ" الحواضر النحوية والمذاهب الفقية".

* المؤلف المرسل

فجاءت الدراسة لغوية تحليلية تاريخية لا فقهية محضة، فَوُضِعَت الخطة التالية لهذه الدراسة المتواضعة.

– وفي هذه الأعوام المتأخرة انتشرت ظاهرة في أواسط الأمة الإسلامية؛ وهي فصل علم اللغة وخاصة النحو عن علم الفقه والتفسير، ممّا أدّى إلى اضطراب عقائدي وفقهي تكاد سحابته تغطي الأمة، فظهر فيها ما يسمى بأشباه العلماء. وهذا أمر خطير،كما أدى إلى الضربات المتكررة لفصل العلوم المتراكبة بعضها على بعض خاصة بالمتأخرين عن اجتهادات المتقدمين. فقلَّ ما تجد شخصا جمع علوم اللغة وعلوم الفقه ورغم اعتراف الكثير من النّاس الخاصة بفضل النحو على سائر العلوم فقد قال أحد العلماء[1] "ما أحدث النّاسُ مُرُوَّةً أفضل من النحو"، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "علِّمُوا أبناءكم العربية فإنَّها تُثَبِّتث العقل وتزيد في المروءة" وقد أحسن الشاعر حينما قال:

النحو يبسط من لسان الألكن والمرءُ تكرمه إذا لم يلحن

فإذا طلبت من العلوم أجــلَّها فأجلّها منها مقيمُ الألسن

* فما هي أهم المدارس النحوية والمذاهب الفقهية التي بها بُنِيَ الصرح الحضاري الإسلامي؟.

2.تعريف النحو والفقه:

هذه التساؤلات المطروحة رُبَّما غير الموجودة في أذهان القرّاء أو في إنجازاتهم العلمية جعلتنا نقوم بدراسة تاريخية (المنهج التاريخي بإجراء تحليلي مستشهدين ببعض الأدلة لبعض اللغوين عبر عصور الفقه والنحو.

فبما أن البحث يرتكز أساسا على مصطلحي النحو والفقه، فأردنا أن نعطي تعريفا مختصرا لكليهما.

2.1 تعريف النحو:

- **لغة:** القصد: ونحا الشيء وينحاه إذا قصده ولأنَّ القصد منه معرفة الصواب "وهذا المشهور المتداول"[2].

التعريف: لأنه يحرّف الكلام إلى وجوه الإعراب الصحيحة وهذا القول فيه تكلّف"[3].

- **اصطلاحا:** علم يبحث فيه أواخر الكلم إعرابا وبناء.

– عند المتقدمين كان علم النحو أوسع من دائرة تعريف المتأخرين وأدق – لأنّه عند المتأخرين علم يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم إعرابا وبناءا– حيث شمل التقديم والتأخير والحذف والإضمار وأحوال الجمل وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالهيئة التركيبية للكلام. وهذا ما تجده في إشارات خلف الأحمر[4]وابن جني[5]،حيث تصب تعاريفهم في أنّه "صناعة علمية يعرف بها أحوال كلام العرب من جهة ما يصح ويفسد في التأليف"[6].

2.2 الفقه:

- **لغة:** "العلم بالشيء والفهم له"[7].

اصطلاحا: هو العلم بنصوص الشريعة واستنباط الأحكام منها، وقد ذُكِرَ في القرآن الكريم وفي أحاديث النَّبيِّ الكريم بهذا المعنى.

3. الحواضر النحوية:

"ذهب المصنفون الأوائل إلى أن ظهور النحو كان بسبب ما كان من شيوع اللحن في العربية حين اتسعت دائرة المجمّعات العربية القديمة لما كان من الفتوح الإسلامية في المجتمعات المفتوحة غير العربية فأقبلت على اللغة تتعلمها...وقد شمل هذا اللحن بعد مدّة من الزمن العرب أنفسهم"[8].

– فكان هذا هو السبب الوجيه الذي جعل أهل العلم يفكرون في وضع ضوابط يستعين بها المعربون على عدم ارتكاب اللحن لأنّه هجنة وعيب وخاصة وأنّهم يتلون القرآن الكريم بالعربية ولغة السنّة عربية، فوجّهوا جهودهم لكيلا يقدح أحد فيهما. والروايات رغم اختلاف أجزائها فهي تتفق في أنَّ أبَا الأسود الدؤلي هو واضع اللبنات الأولى لعلم النحو.

1.3 مدرسة البصرة:

"لما كانت العلوم في الأمم لا تظهر فجأة، بل تأخذ في الظهور رويداً رويداً حتَّى تستوي على سوقها، فكان ذلك مدعاة في كثير من الأمر لأن تغمض نشأة بعض العلوم وأن يختلط على النَّاس واضعوها المبكرون"[9].

– كان لأبي الأسود الدؤلي سابق الفضل في وضع أسس هذا العلم ولكن اختلاف الدارسين حوله يكمن في هل وضعه وحده أم لا؟ فمنهم من يغزيه إلى أمر عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه– ومنهم من ينفيه عنه ويرى أن الشيعة نسبته له فقد كان مشتغلا بحرب الخوارج والفتن التي حدثت زمانه وتهيئة الجيوش للفتح. ولكنها تتفق في أنّ أبا الأسود الدؤلي هو الواضع الأوّل له وروايات السبب تختلف فمنهم من يرى أنه أمر أمير البصرة زياد بن أبيه ومن يرى لحن القارئ في الآية "إن الله بريءٌ من المشركين ورسولِه" فكسر كلمة "رسوله" فحرّفت الآية ومنهم من يرى قصة "افتحيها".

لتتظافر الجهود بعده؛ فنهض أبو إسحاق وتلاميذه البصريون باستقراء دقيق ووضع قواعد مضبوطة معلّلة، ويطرحون الشاذ أو يؤولونه أو يخطئونه، فرحلوا إلى أعماق نجد وبوادي الحجاز وتهامة وجمعوا من صافي ينابيعها. كما أحضروا نفرا من الأعراب الكاتبين إلى البصرة فعلّموا شبابها الفصحى وأشعارها وأخبار أهلها وكان للقرآن الكريم وقراءاته عددا لا ينضب لقواعدهم. كما أنهم طعنوا في بعض القراءات وضعفوها لأنّها لا تتوافق مع قواعدهم وكانوا لا يحتجون بالحديث ولا يتّخذونه إماماً شواهدهم وأمثلتهم لأنّه رِويَ بالمعنى ولم يكتب ولم يدوّن إلاّ في المائة الثانية للهجرة ودخلت في روايته كثرة من الأعاجم وتبعهم نحاة الكوفة.

– وعلى هذه الشاكلة شادت البصرة صرح النحو ووضعت أركانه ورفعتها، بينما كانت الكوفة مشغولة عن ذلك حتى منتصف القرن الثاني للهجرة بقراءات الذكر الحكيم ورواية الأشعار والأخبار فاكتفوا بالتتلمذ على يدي نحويي البصرة، وكان الأوائل يعرفون ذلك معرفة دقيقة، خاصة ذلك في قول ابن سلام الجمحي "وكان لأهل البصرة في العربية قَدَمَةٌ وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية"، ويقول ابن النديم في حديثه عن نحاة البصرة والكوفة "إنّما قَدَّمْنَا البصريين أوّلاً، لأنَّ عِلم العربية عنهم أُخِذ"[10]. ومن بين نحويي البصرة المشهورين ابن إسحاق الحضري، وتلاميذه عيسى بن عمرو وعمرو بن العلاء ويونس بن حبيب ومن نحاتها سيبويه صاحب الكتاب.

2.3 مدرسة الكوفة:

فهي بنت مدرسة البصرة وليدتها، حيث قام العالمان الجليلان (أبو جعفر الرؤاسي ت187، ومعاذ بن مسلم الهراء ت 190) اللذان تتلمذا في البصرة على يد كبار العلماء كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمرو الثقفي، ليستقر في الكوفة ويخطو الخطوات الأولى التي مهدت الطريق للإمام الكسائي لتأسيسها ثم يليه هشام بن معاوية الضرير ت 209 والقاسم بن سلام الأزدي (ت 224)، وابن السكّيت (ت 224) والفرّاء (ت 207) وثعلب (ت 291) ابن الأنباري (ت 327)[11].

* أهم الفروق العلمية بين المدرستين:

– **في الرواية:** بالغ البصريون في التوثيق للرواية فهم لا يثبتون في كتبهم إلاّ ما صح سماعه من العرب الأقحاح الفصحاء ممن سكن بطون البوادي من نجد وتهامة والحجاز، وقد خالفهم الكوفيون في ذلك فاتسعوا في رواية الشعر وحكاية اللغات واللهجات اتساعا كبيرا فاخذوا عن جميع العرب مروياتهم ولم يفرقوا بين الفصيح والشاذ والمتروك.

– **في ضبط القواعد:** رأى البصريون أن للشواهد التي تقام عليها القاعدة النحوية أو يبنى عليها القياس، أن تكون جارية على الألسن العربية الفصيحة وأن تتميز بكثرة التداول، عكس الكوفيين الذين اعتدوا بأقوال أهل الحضر ممن رانت عنهم الفصاحة بسبب اختلاطهم بأعاجم ،فبنوا قواعدهم على كلّ ما سمعوه كان فصيحا او شاذًّا وهذا أحدث اضطرابا وتناقضا في هذه القواعد[12].

3.3 . مدرسة بغداد:

– لعلّ أهم أسباب ظهورها هي المناظرات العلمية التي درات بين أصحاب المدرستين السابقتين كالكسائي وأبي عباس المبرد وثعلب والفراء وغيرهم التي ساهمت في نشوء جيل جديد يحمل آراء المدرستين؛ فظهر معهم منصب جديد يقوم على أساس المفاضلة والانتخاب بين الآراء والترجيح والاجتهاد واستنباط آراء جديدة. إلاّ أن بعضهم نهج نهج الكوفيين ومن أشهرهم ابن كيسان (ت 299)، بان شُقَير (ت 315هـ)، ابن الخياط (ت

320)، الزّجاجي (ت 337)، الفارسي ت 337، ابن جني(ت 392)، عبد القاهر الجرجاني (ت 471)، الزمخشري (ت538).

– إلا أن الإمام أبا علي الفارسي يطلق في بعض كتبه لقب البغداديين على نحويي الكوفة وهو فعل ابن قتيبة، ويعنون بذلك منصب البغداديين القدماء لأنهم كانوا على مذهب الكوفيين حتى دخول المبرد عليهم.

تتضمن تلخيصا لما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلىأبرز النتائج المتوصل اليها، وتقديم اقتراحات وتوصيات.

4.3 . مدرسة الاندلس:

"عرف الأندلسيون والمغاربة نحو الكوفة قبل أن يعرفوا نحو البصرة ووصل إليهم كتاب الكسائي قبل ان يصل كتاب سيبويه، وقد أدخله جودي بن عثمان الطليطيلي (ت198هـ) من خلال رحلات المغاربة إلى المشرق وخاصة الكوفة، فحاولوا الموافقة بين آراء المدرستين باجتهاداتهم الجديدة بعدما شرحوا وردُّوا ونقدوا الكتاب لسيبويه وما اختلف معها البغداديون"[13].

ليزدهر بعد ذلك –الدرس النحوي– عند عصر ملوك الطوائف حيث جمعوا كل آراء سابقيهم من العلماء باختلاف مشاربهم ومدارسهم، ثم ما لبث أن ظهرت ثورة تدعى بالثورة الظاهرية على المذهب المالكي في الفقه صحبة ثورة على المدارس النحوية زمن ابن حزم الأندلسي، التي حوّلت آراءهم إلى ما ذهب إليه البصريون، ولعبت الأحداث السياسية دورا بالغا في هذا التحول الذي كاد ان يبعده على مصادره الأولى، ومن ابرز العلماء الثائرين ابن مضاء القرطبي في كتابه (الردّ على النحاة) الذي اعترض فيه على الكثير من إجماعات النحويين كما دعا إلى إلغاء القياس والتمارين غير العملية وجعل النحو على شكل المذهب الظاهري في الفقه"[14].

4. المذاهب الفقهية:

"يلاحظ من التعريفين للنحو والفقه أن هناك شبها قويا وارتباطا وثيقا بين النحو والفقه وأن الاختلاف بينهما حاصل في المادة التي يتناولها العلمان"[15].

– الاجتهاد الفقهي ظهر في زمن الصحابة الكرام الذين بذلوا جهودهم وطاقاتهم لاستخراج الاحكام من نصوص الشريعة على اختلاف أنواعها وإيجاد أحكام شرعية للواقع والنوازل التي لم يرد فيها نص صريح من خلال التوفيق بين النصوص على اختلاف الزمان والأحوال والأنواع. وله مصادر لفهم النصوص منها: القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة، الاستنباط وله أدوات: معرفة أوضاع اللغة وأسرارها معرفة عادات العرب ومعرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن[16]، وكذا على علم بالحديث وانواعه والناسخ والمنسوخ.

– لتأتي المذاهب الفقهية الأربعة لتقنن القوانين وتؤصل الأصول لما ورثه من علم الصحابة وتابعيهم فتلقتها الأمة بالقبول جيلا بعد جيل فكان عليها مدار الفتوى في عامة بلاد المسلمين وإليها مرجع المتنازعين وبها تفقه علماء الإسلام على اختلاف مدارسهم ومشاربهم وإليها انتسبوا"[17].

1.4. المذهب الحنفي: (نسبة للإمام أبي حنيفة النعمان):

يعد من أقدم المذاهب الفقهية المعتمدة التي كتب اللهُ لها البقاء، وصاحبه اسمه الكامل أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زَوَطي بن ماه التميمي الكوفي إمام الملة وفقيه الامة، وقد أدرك ثلة من الصحابة أنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى، وسهل بن سعد الساعدي، أبو طفيل عامر بن واثلة غيرهم– رضوان الله عليهم– وبذلك تتحقق تابعيته.

ولم يكن يهتم بالعلم بل بالتجارة حتى أرشده الإمام الشعبي –رضي الله عنه– لِمَا رأى فيه من فطنة وذكاء ونجابة. فكان أوّل من نظر في علم الكلام وبلغ فيه مبلغا عظيما ثم تركه وانصرف إلى الفقه ليبدأ في إنشاء مذهبه الجديد حوالي (120هـ) إذ أصبح له تلاميذه وأصحابه يلازمونه[18]. وقد مرّ بمراحل عدة في تطوره ويعتمد في استنباطه على أصول الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ما لم تتعارض، القياس، الاستحسان العرف، ومن أشهر الكتب المعتمدة في فقهه كتاب "ظاهر الرواية" و"الكاف" (محمد بن محمد أبن أحمد المروزي المعروف بالحاكم الشهيد (ت 334هـ). ثم "المبسوط" محمد بن محم بن أبي سهل السرحشي والمتون قال فيها العلامة المطيعيُّ: "فاللازم أن يأخذ بما في رواية الأصول ثم بما في المتون والمختصرات كمختصر الطحاوي، والكركي والحاكم الشهيد، فإنها تصانيف معتبرة ومؤلفات معتمدة قد تداولها العلماء حفظا ورواية ودرسا وقراءة وتفقها ودراية"[19].

1.4. المذهب المالكي: ومؤسسه الإمام مالك:

أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن غسان بن خُثَيْل بن عمرو بن الحارث الحميري الأصبحي المزني، نشأ في مدينة العلم والعلماء "طيبة" فبكّر لذلك وجلس عند شيوخ أجلاء وتحرّى في انتقائهم وفاق عدد شيوخه تسعمئة شيخ منهم نافع مولى ابن عمر (ت117) ومحمد بن شهاب الزُّهري (ت 124) ومحمد بن المنكدر (ت 130 وغيرهم، ومن أشهر تلامذته محمد بن الحسن الشيباني (ت 189) وعبد الرحمن بن القاسم (ت 191).

ومن مصنفاته: رسالة إلى الليث بن سعد في "إجماع أهل المدينة" والموطأ وغيرها وترجع استنباطه إلى أحد عشر أصلا: الكتاب الكريم، السنة النبوية، الإجماع، القياس، عمل أهل المدينة (أصل اختص به الإمام عن غيره من الأئمة)، قول الصَحابي شرعُ من قبلنا المصالح المرسلة الاستحسان حيث قال فيه "تسع أعشار العلم الاستحسان"[20]. سدّ الذرائع "منع ما يجوز لئلا يتطرق به إلى ما لا يجوز"[21] والاستصحاب.

ولعلّ المعتمد في كتبه (المذهب) أربعة كتب: المدّونة سحنون بن سعيد التنوخي (ت240) وهي أصل الفقه المالكي وعمدته ،(الواضحة في السنن والفقه) لعبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238) وتلي المدوّنة في الفضل، شرحها ابن رشد وشرحها وانتشرت في بلاد الأندلس[22].

والمستخرَجة من الأسمعة (العُتْبية) لمحمد بن أحمد العتبي (ت 255هـ) وتأتي في المرتبة الثالثة، حَوَتْ سماعات جمعها العُتبي من مالك وأضاف إليها الكثير من المسائل الفقهية حتى اعتمدها العلماء وهجروا كتاب الواضحة، وأخيرا المؤَّازية لمحمد بن إبراهيم المعروف بابن المؤاز (269) وهي رابعة الامهات الدواوين حيث تعد آراء صاحبها قمة الترجيحات المالكية المصرية وهو تفضيل الشيخ القالبي لها. وكذلك مجموعة من الاجتهادات كالرسالة لأبي زيد القيرواني ومختصر سيدي خليل والذخيرة للقرافي وشروحات هذه الكتب كثيرة.

3.4. مذهب محمد بن إدريس الشافعي:

نسبة إلى الإمام عبد الله محمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي ينتهي نسبه إلى عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ولد باليمن[23] وقيل بعسقلان (150هـ) سنة وفاة أبي حنيفة رضي الله عنه، فاتصل ببني هُذيل وهو صغير فتلقى اللغة صافية دون لحن وهو ابن عشر سنين وقيل سنتين، فقدم مكة وطلب العلم[24] وكانت له رحلات خلال مرحلة تلقيه العلم فقد أخذ عن ابن عيينة (ت 197) ومسلم بن خالد الزنجي (ت 189) في مكة لينتقل إلى المدينة فقد لازم الإمام مالك ولا سيما السنوات الاخيرة فقرأ "موطأه" ولزم درسه وسمع فتاويه وفقهه وبعد وفاة الإمام مالك –رضي الله عنه– رحل إلى مكة ثم إلى اليمن ونال فيها المكانة وبسبب الفتنة رجع إلى العراق (بغداد) فجلس عند محمد بن الحسن (ت 189) ووكيع بن الجرّاح (ت 197) وغيرهم[25]. ثم إلى مصر ثم عاد إلى مكة.

مؤلفات الفقه كثيرة منها كتاب "المبسوط" كتاب السنن برواية حرملة بن يحي المصري (ت 243) كما أن هناك كتب في اختلافات أشهر العلماء ككتاب "اختلاف مالك والشافعي"، والردُ على محمد بن الحسن" و"سير الأوزاعي"[26]، واعتمد في استنباطاته على الكتاب والسنة والإجماع وقول الصحابي إذا لم يخالف والقياس، وهو من وضع أصول الفقه على شكلها الأخير.

4.4. مذهب الإمام احمد بن حنبل –رحمه الله–:

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني البصري البغدادي مولد ونشأة وإقامة.

نشأ يتيما أشرفت أمه على تربيته تربية علمية صالحة، فكان ورعا عفيف اللسان[27]. زاحم طلاب العلم على علماء بغداد، ثم سافر لتحصيله إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة وكتب عن علماء كل بلد من أشهرهم يعقوب بن إبراهيم (ت 182) إسماعيل بن عُليَّة (ت 193) وكيع بن الجراح (ت 197) والإمام الشافعي (ت 204) واعتمد في علمه على أصول للاحكام وهي الكتاب والسنة، الإجماع فتوى الصحابي إذا لم يعرف له مخالف الأخذ بالحديث المرسل والضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، القياس، الاستحسان

والاستصحاب، سد الذرائع[28]. ومن أشهر المصنفات أشهرها: مسائل إسحاق بن منصور الكوسج المروزي، مسائل صالح بن أحمد بن حنبل، مسائل عبد الله بن احمد بن حنبل، مسائل حرب بن اسماعيل الكرماني، كتاب الوقوف، كتاب الترجّل، مختصر الخزقي"[29].

5.4. المذهب الظاهري:

.مؤسسه هو الإمام داوود بن علي بن خلف الأصبهاني الأصل الكوفي المولد،البغدادي الدار المكنى بأبي سليمان الشهير بداوود الظاهري[30]. ولم تدوّن المصادر التاريخية عن أسرة ونشأة داوود الظاهري لأسباب أشار إليها الخليل، ولقب بداوود الظاهري لاعتماده على ظواهر النصوص من الكتاب والسنة ونفر العلماء منه لقوله بخلق القرآن، وضعف تلامذته الذين تزعموا من بعده القيادة لمذهبه لولا أن أحياه ابن حزم الأندلسي من جديد ودافع عنه. فكان كثير الترحال إلى الأمصار لتلقي العلم وبما أن عصره امتاز بنهضة علمية واسعة كالعراق، البصرة والكوفة نيسابور وأشهر من أخذ منهم العلم: إبراهيم بن خالد (أبو ثور ت 240)، إسحاق بن راهوية (ت 228) سليمان بن حرب (ت 224)،عبد الله القعنبي (ت 221)[31]، ولكن اشتهر به ابن حزم أكثر من دواوين علي.

وتتمثل أصوله التي يستنبط منها: القرآن الكريم والأخذ بظاهره هو المعتمد والواجب كاعتبار العمرة فرضا كالحجّ، السنة والإجماع، الدليل، الاستصحاب، وقد ردّ القياس ولم يجوّز الاستحسان، عدم الأخذ بشرع من قبلنا وعدم لاحتجاج بعمل أهل المدينة وسدّ الذرائع وقال في انتسابه للمذهب[32].

أ لم تر أني ظاهري وأنني على ما بدا حتّى يقوم الدليل[33]

ومن مصنفات المذهب: كتاب الصلاة، كتاب السهل، كتاب بالإمامة، كتاب الجنائز وغيرها كثير لأبي داوود الظاهري، أما من مصنفات ابن حزم الناسخ والمنسوخ، جوامع السيرة، الفصل في الأهواء والملل والنحل رسالة في الطب النبوي.

5. علماء الكلام والمنطق:

– "الكلام في الإسلام قضية قولية عقدي ما في ذلك شك من هنا كان اتصالها الوثيق بعلم البلاغة وعلم أصول الفقه، وعلم الفلسفة"[34]. وقال الدكتور حسن الشرقاوي 1989م: "في هذا الوقت هدانا الله لاكتشاف موضوعات علم النفس الإسلامي الذي يقوم على مفاهم راسخة لنفس الإنسانية وردت في كتاب الله وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم"[35].

"وقد عني من المتكلمين قديما بجمع الآراء الكلامية وتصنيفها وترتيبها وذلك عن طريق كتب عنونت بـ"المقالات" و"الملل والنحل" أو "الفرق" او الاعتقادات" أو "الأفكار" أو "الآراء" ولعل أولها تأليف المنسوب لواصل بن عطاء (ت 131) "أصناف المرجئة" وكتب "الملل والنحل" للشهرستاني وعبد لقاهر البغدادي وأحمد بن يحي المرتضى وغيرهم كثير ولعل أهم المتكلمين من كان لهم اليد الطولى في تأسيس لفرقة من فرق المتكلمة كالأزارقة

ينسبون إلى نافع ابن الأزرق والمعتزلة تنسب إلى واصل بن عطاء "قالو بخلق القرآن" والظاهرية لأبي داوود الظاهري والفرق الكلامية كثير تناولها عبد القاهر البغدادي بشيء من التفصيل في كتابيه "الفرق بين الفرق" و"الملل والنِّحل"، مما أحدث اضطرابًا في عقائد الأمة فقيّد الله لعقيدة أهل السنة والجماعة رجالا حرّروا عقيدة السلف في عقيدتين: الأشاعر نسبة إلى أبي الحسن الأشعري والماترودية نسبة إلى أبي منصور الماترودي يحسم الخلاف وجّه الإسلام أبو حامد الغزالي في كتبه "إلجام العوام عن علم الكلام" "وتهافت الفلاسفة"و"إحياء علوم الدين" الذي أظهر فيه عقيدته ومنهجه.

وقد نبأ النبي الكريم عن هذا الافتراق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"[36] وله أسانيد كثيرة ورواه عن النبي الكريم جمع من الصحابة رضوان الله عليهم. وقد ذمّ عليه السلام القدرية، والمرحية والخوارج وأقرّ بأن قاتل عليّ رضي الله عنه في النار.

4. الخاتمة:

- يعرفها مالك بن نبي في معادلة فريدة: حضارة: إنسان + تراب + وقت فهي تتكون من ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان مشكلة التراب ومشكلة الوقت فلبناءالحضارة لا يكفي تكرّس المنتجات وإنما بان نحل المشكلات الثلاث من أساسها. فقصده ما يقدّمه المجتمع من ضمانات مادية ومعنوية للفرد خلال حياته"[37].

وتختلف الحضارة من أمة لاخرى حسب استقراءات مفكريها وممارسات شعوبها السياسية والفكرية والاقتصادية وطقوسهم الدينية، فجاءت متفاوتة وكلها تصب في معنى واحد. قال التضامي "فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال البادية ترانا" وقد اختلفت الآراء من الأوسع الحضارة أو الثقافة؟ وهناك من يرى ان الحضارة هي الثقافة مضاف إليها القوة وهذا مذهب الدكتور "يوسف سلامة".

فهل للفقه والنحو يد في بعث المدِّ الحضاري؟

الهوامش:

[1] –محمد بن الشهاب الزهري المتوفى–رحمه الله سنة 124هـ

[2] – محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، ت: رزمي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، ج2/ 197.

[3] – ابن منظور، لسان العرب ، عن السكيت، ج310/15.

[4] –من علماء البصرة أبو خلف بن حيان توفي سنة 180هـ.

[5] –من علماء الموصل النحويين (322–392هـ).

[6] – دعراك جير شلال، العلاقة بين علم أصول الفقه وعلم أصول النحو، الجامعة العراقية، ص 07.

[7]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة، ط1 (1987م)، مادة فقه، ص 1260.

[8]– د.إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر للنشر والتوزيع، عُمّان، ص 09.

[9]– د.شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، ص 13.

[10]–المرجع نفسه، ص 20، بتصرف.

[11]– علي القصيباتي، تاريخ المدارس النحوية، كلية الآداب، مكتبة الدماكي، ص 05.

[12]–المرجع نفسه، ص 06.

[13]– أ.د أحمد قريش، محاضرات المدارس النحوية، جامعة تلمسان، قسم الأدب، ص 44.

[14]–المرجع نفسه، ص 47.

[15]–د.عراك جير شلال، العلاقة بين علم أصول الفقه وعلم أصول النحو، الجامعة العراقية، ص 52 بتصرف.

[16]–نصر الله القرشي، إجتهاد الصحابة ومدارسهم في فهم نصوص القرآن وقيمته العلمية.

[17]– وحدة البحث العلمي، المذاهب الفقهية الأربعة أئمتها، أطوارها، أصولها، آثارها، إدارة الإفتاء، الكويت، ص 23.

[18]–المرجع نفسه، ص 15.

[19]– الشيخ محمد بخيت المطيعي، إرشاد أهل الملّة إلى أثبات الاهلة، ص 351.

[20]–الشيخ إبراهيم بن علي بن فرحون، كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن حاجب، دار الغرب الإسلامي، ت: حمزة ابو لفارس، د.عبد اسلام الشريف، ص 125.

[21]– عبد الله المازري، شرح التلقين، ج317/4.

[22]–المذاهب الفقهية الأربعة، أئمتها، أصولها، أطوارها، آثارها، ص 96.

[23]– ابن أبي حاتم، تح أداب الشافعي ومناقبه، قيق أبي هشام محمد بن علي الصومعي البيضاني وسلسلة قرة عيون المحدثين، اليمن، ص 91.

[24]–المرجع نفسه، ص 91–92 بتصرف.

[25]–الحافظ ابن حجر العسقلاني، توالي التأسيس، ت: أبي الفراء وعبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 12 بتصرف.

[26]–المذاهب الفقهية، ص 129 بتصرف.

[27]–المرجع نفسه، ص 164 بتصرف.

[28]–ما ذكر من أصول الاستنباط على سبيل الإشارة لا التفصيل.

[29]–المرجع نفسه، ص 200–2001.

[30]– أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، ج8، ص 369–370.

[31]–سهام غربية علوي، المذهب الظاهري في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين (4–7هـ/10–133هـ)، قسم العلوم الإنسانية، الوادي (2017–2018)، ص 30 بتصرف.

[32]–المرجع نفسه، ص 69–73 بتصرف.

[33]– ابن حزم، ديوان ابن حزم، ص 25.

[34]– د.عبد الحكيم عبد السلام العبد سموحة، علم الكلام في الإسلام، الاسكندرية، ص 07.

[35]–د.حسن الشرقاوي، المفاهيم النفسية الأساسية في القرآن الكريم وخطورة الإصلاح، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ج 37.

[36]–عبد القاهر بن ظاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، ضبط محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة ، العباسية، القاهرة، ج2/ص 05.

[37]–أشنقال طارق، الإسهامات السيكولوجية لمالك بن نبي، جامعة ورقلة، ص 05 بتصرف.